بسم الله الرحمن الرحيم

الأحد 8/12/2013 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

أبواب الفرج

تقوى الله تعالى (2)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

هذا هو الدرس الثامن في سلسلة دروس **أبواب الفرج**، ونحن نسأل اللهَ تعالى ببركة عملنا بها أن يُعجِّل لنا بالفرج وأن يجعله محفوفاً بألطافه الخفية؛ ذلك لأن المرض له استسقاء والفرج له استسقاء فإذا حبس المطر عن العباد شرع الإسلام صلاة الاستسقاء، وعلى العباد قبل هذه الصلاة أن يتوبوا من ذنوبهم مع الله، وأن يردوا المظالم لأهلها، وأن يصوموا ثلاثة أيام، ثم يخرجوا مجتمعين منكسرين متذللين على باب الله تعالى سائلين المولى بعد صلاة ركعتين أن ينزل الله عليهم الغيث.

فكما أن للغيث استسقاء فللفرج استسقاء أيضاً فإذا أردنا أن ينزل الله علينا فرجاً فلا بد من رد الحقوق إلى أصحابها، ومن توبة ورجوع إلى الله، ومن ضراعة وتوجه إلى الله.

بدأنا بباب واسع من أبواب الفرج إذا قرعه العبد فإنه يستفتح فضل الله تعالى بالفرج وهو **باب التقوى**.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: 2]، ذلك لأن الضيق والكرب يحيط بالمرء حتى يغلق عليه كل باب، فإذا راجع نفسه ونظر في أوامر الله التي تركها ونواهي الله التي تعداها فإنه بهذا الفهم عن الله عز وجل وبعودته إلى الله تعالى من أوامره ونواهيه فإنه يستفتح باباً عريضاً من أبواب الفرج، سواء كانت الأزمة عامة أو خاصة.

ويقول تعالى في آية أخرى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 4].

أيها الإخوة وردت التقوى والحديث عنها في القرآن الكريم في 258 موضعاً، بل إنه لا تصح خطبة جمعة عند الإمام الشافعي حتى يوصي المسلمين بالتقوى.

والتقوى في أقصر تعريف هي: **امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه.**

فتقوى الله مع النساء:

أ. في عدم النظر لفتاة لا تحل لك؛ لأن الله يقول: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: 30].

ب. وفي عدم الخلوة فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **خَطَبَ عُمَرُ النَّاسَ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ فِي مِثْلِ مَقَامِي هَذَا ثُمَّ قَالَ: «... أَلاَ لاَ يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ؛ فَإِنَّ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ...»** [النسائي].

ت. ولا أن تجلس معها بالحرام.

ث. ولا تقترف الزنا...

كل الحجج الواهية من وعدٍ بالزواج، أو الميل لها، أو حبها، أو أن نفسه دعته إليها... لا يبرر أن تجترئ على أوامر الله ونواهيه ولا أن تقتحم حدود الله عز وجل.

– رجل عرض بيتَه للبيع بثلاثة ملايين فجاء من أراد الشراء ودفع له العربون على أن يسلمه إياه خلال شهر وبعد أيام جاءه زبون ليدفع له زيادة عن ذلك مائتي ألف، فنكث عقده الأول ليربح المال الزائد مع أن الله أمرنا بوفاء بالعقود ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة: 1].

– ترى موظفاً مع كل هذه الأزمة والشدة مصراً على أن لا يمرر المعاملات إلا برشوة ثم تراه يدخل المساجد ويتحدث مع الصالحين ويدعو بالفرج مع أنه سبب الضيق والكرب والبلاء.

– شاب أرادت زميلته في الجامعة أن تتقرب منه، فقال لها: أنا لا أفعل الحرام، فقالت: أنا لا أريد الحرام أيضاً بل أريد الزواج، فلما سألها عن أهله وأهلها قالت: أنا بالغة وراضية وأنت كذلك، ولا حاجة لأوليائنا، ولنكتفي بالشهود من زملائنا، فرفض ذلك، فلما رفض تغيبت الفتاة عن الجامعة لفترة طويلة، وأُخْبِرَ أصدقاؤها بعد حين أنها كانت حاملاً، فنجاه الله منها بتقواه.

من غير المنطقي أن ندعو الله في المسجد ليفرّج عنا ثم إذا خرجنا رفضنا أمره من غضّ بصر، أو وفاء بالعقود... فإذا لم ننصاع لأوامره فلن يفرج عنا والله يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186].

فالله يناديك للاستجابة لأمره كما تناديه ليكشف همك فإن استجبت له استجاب لك وإلا فلا.

ذكر معروف الكرخي عن بكر بن خنيس قال: ((**كيف يكون متقياً من لا يدري ما يتقي؟**)) **ثم قال معروف:** ((**إذا كنت لا تحسن تتقي أكلت الربا، وإذا كنت لا تحسن تتقي لقيتك امرأة فلم تغض بصرك، وإذا كنت لا تحسن تتقي وضعت سيفك على عاتقك**)) [جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي].

التقوى علم وعمل فمن لا يعلم فلن يستطيع أن يتقي، وسيقع في المحرمات من حيث يدري ومن حيث لا يدري، ولأجل هذا نرى:

– نساء يمشين في الطرقات كاسيات عاريات ظانات أن الحجاب يكون بوضع الغطاء على الرأس فقط.

– تاجرٌ يتعامل مع البنوك الربوية، ظاناً أن الحرمة بأخذ الفوائد الربوية فقط مع أن الحرمة بالتعامل بحد ذاته.

– شاب يريد أن يحلق شعر رأسه فيوقعه الحلاق بالنَّمْصِ فيهذب له حاجباه بنتفهما وقد لعن الله النامص والمتنمص سواء من الرجال أو النساء، وتراه على غير علم بهذه الحرمة.

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُسْعُوْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «**لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ**» [مسلم].

لذلك كان واجباً على كل منا أن يحضر مجلس علم في الأسبوع ليعلم ما يريد الله وما لا يريده.

كل من يتقي الله فسيؤجر وسينال الثواب في الدنيا قبل الآخرة.

كثير منا عندما يكبر يقول: جزى الله خيراً الأستاذ الفلاني فقد كان شديداً علينا لكنه بذلك كان ناصحاً لنا وعلمنا بشكل صحيح.

فنحن نحمد من كان شديداً علينا في فترة من الزمن حتى يقوِّمَنَا على الطريق المستقيم، ولله المثل الأعلى فأحياناً يرسل الله لنا تنبيهاً لنراجع أنفسنا، فإذا رجعنا فقد استفدنا من هذا التنبيه، وسنحمده على ما أصابنا؛ لأنه كان سبب عودتنا وإنابتنا.

لاحظ أحد أصحاب الشركات أنه خلال السنوات الثلاث الأولى لتأسيس شركته كان هناك خسائر من حوادث سيارات، وسوء ائتمان لبعض العمال، وتأفف الزبائن من العمل... فوقع في خاطره أن: (لعلي أخالف أمر الله في شركتي)، فلما راجع نفسه وجد نفسه يدفع الزكاة بما تيسر له لا بشكلها الصحيح.

قال الرجل: في السنة التي قمت بحساب الزكاة بشكل دقيق وإخراجها على هيئتها الصحيحة بدأ دخل الشركة في تحسن، وبدأ رأي الزبائن في الشركة يتحسن، وقلت حوادث سيارات الشركة، ولاحظت أن الله عز وجل يصطفي لي عمالاً بمواصفات عالية من الأمانة والخلق والمهارات الفنية العالية.

للتقوى فوائد كثيرة جاءت في القرآن الكريم سنختار منها أربعة مما له صلة بالأزمة التي نحن فيها:

1- السلامة من أذى الناس في الأزمات وغيرها:

عَنْ عُرْوَةَ قَالَ: **كَتَبَتْ عَائِشَةُ إِلَى مُعَاوِيَةَ: (أَمَا بَعْدُ: فَاتَّقِ اللهَ، فَإِنَّكَ إِنِ اتَّقَيْتَ اللهَ، كَفَاكَ النَّاسَ، وَإِنِ اتَّقَيْتَ النَّاسَ، لَمْ يَغْنَوْا عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا)** [النسائي].

بل إن التقوى تورثك محبة الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم: 96].

وَقَالَ زيد بن أسلم: كَانَ يُقَال: **(من اتَّقى الله أحبه النَّاس وَإِن كَرهُوا)** [الفوائد لابن القيم].

2- الحفظ من كيد الأعداء ومكرهم:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: 120].

قال ابن كثير: ((قال الله تعالى مخاطباً المؤمنين: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به)) [تفسير القرآن العظيم لابن كثير].

3- حفظ الذرية الضعاف:

إن وَعَدَكَ صاحبُ شأن ومكانة أن يضمن لك أهلك وأولادك فكيف برب العالمين؟! وهو القائل: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: 9].

قال القاسمي رحمه الله: ((**في الآية إشارة إلى إرشاد الآباء، الذي يخشون ترك ذرية ضعاف بالتقوى في سائر شؤونهم حتى تُحفَظَ أبناؤُهم وتُغاثَ بالعناية منه تعالى. ويكون في إشعارها تهديدٌ بضياع أولادهم إن فقدوا تقوى الله تعالى.**

وإشارة إلى أن تقوى الأصول تَحفَظُ الفروع. وأن الرجال الصالحين يحفظون في ذريتهم الضعاف. كما في آية: ﴿وَأَمَّا الْجِدارُ فكانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما وَكانَ أَبُوهُما صالِحاً﴾ [الكهف: 82]، **إلى آخرها. فإن الغلامين حُفِظَا، ببركةِ صلاحِ أبيهما، في أنفسهما ومالهما**)) [محاسن التأويل للقاسمي].

قال ابن المنكدر: ((**إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولدَه وولدَ ولدِهِ والدُّويرات التي حوله فما يزالون في حفظ من الله وستر**)) [جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي].

كان أحد الآباء يكثر من صلاة الليل، وكان ابنه كلما استيقظ رآه يصلي فسأله مرة فقال: لم أراك تكثر من صلاة الليل؟ فقال: من أجلك وأجل إخوتك يا ولدي فتكونوا في حفظ من الله.

4- النجاة من عذاب الدنيا:

قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [فصلت: 17-18].

تقوى الله سبب عريض وواسع نطرقه ونستفتح ونستمطر به الفرج من رب العالمين، وهذه الأزمة على شدتها وضيقها وكَرْبِهَا مفيدة بشرط أن ترجع إلى تقوى الله تعالى، مراجعاً كُلٌّ نفسه فيما إن كان يرضي الله بعمله أو لا.

أما إن بقي السارق والمرتشي والمعتدي على الأعراض، وآكل حق الناس على ما هم عليه فما فهمنا عن الله لا أمره ولا نهيه.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.